

حكم عيد كريسماس

(الجزء السادس من سلسلة الخطب)

لأبي عبد الرحمن

عبد الرقيب بن علي بن أحمد أبو عبد الرحمن الكوكباني

كان الله له في الدارين

بمسجد أم القرى صنعاء

حرسها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣). أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

معاشر المؤمنين، يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: (١).

(٣) سورة الأحزاب: (٧٠-٧١).

(٤) سورة المجادلة: (٢٢).

ويقول الله عز وجل: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدَهُ ﴾ (٥).

إن من لوازم الإيمان أيها المسلمون، أن يتميز العبد المسلم في عقيدته ودينه ومنهاجه وقيامه وآدابه عن سائر أهل الملل الكافرة من اليهود والنصارى والمجوس والبوذيين والهندوس وسائر الكفار. لأن ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٦).

ولأن ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٧). نعم.

لذلك أيها المسلمون يفتخر العبد ويعتزّ بتمييزه عن الكفار لأنه مسلم ولأن الله كرمه في الدنيا بالإسلام وأكرمه في الآخرة بجنة النعيم، ولأن الكافر أهانه الله بالشرك والوثانية ويعذبه يوم القيامة ويصلى سعيراً.

ألا وإن مما يسمعه الناس في هذه الأيام ومما يعلمون به مما شاع وذاع وملاً القاع والبقاع هو ما يحتفل به النصارى في أيامنا هذه من العيد الرسمي الديني والدولي العالمي الذي يسمى بعيد الكريسماس، كلها أسماء لمسمى واحد، يزعمون أنه عيد ميلاد عيسى عليه السلام وأنه وجد في الرابع والعشرين من ديسمبر في الشهر الأخير من شهر سنة الصليبية. ويمتد هذا العيد حتى يكون العيد الأكبر في الواحد والثلاثين من شهر ديسمبر آخر أيام السنة الصليبية ويعقبه أيام السنة الجديدة من بعدها وما تراه ما يحصل في هذه الأعياد من شرب الخمر وأكل الخنزير واختلاط الجنسين والفعل القبيح من الأقوال والأفعال،

(٥) سورة الممتحنة: (٤).

(٦) سورة البينة: (٦).

(٧) سورة النساء: (٥٧).

نعم، وهم في هذه الأيام في غضون أيام عيد الكريسماس يوقدون الأنوار والنيران ويزينون الكنائس والبيوت والشوارع والأسواق والمتاجر، وينفقون الأموال الباهرة في شراء الأطعمة والهدايا والبطائق المخصصة بهذا العيد. ويزعمون أيضاً أن رجلاً عظيماً المقدار يسمونه بابا نويس هو عندهم في مفهومهم أب مناب عن عيسى يسكن في السماء ويجمع الهدايا العظيمة ثم يمر بها زائر محبيه في الأرض ولا سيما الولدان حتى يزرع الناشئة والصبيان حب الصلبان والكفر والإشراك. لأنهم لا شك يحرصون على ترسيخ شريحة التنصير من بني جلدتهم ومن ذراريهم ومن سواهم في العالم كله يوسعون رقعة التنصير الذي يسمونه زورا: بالتبشير، والله ما هو التبشير وإنما هو تنصير ينصرون المسلم بالدولار والدينار والعملة الصعبة. والمسلم إذا ضعف إيمانه أحب أن ينال منهم نوالاً وعطاء فشاركهم في هذه الأعياد وفرح باحتفالاتهم وكان مسروراً بها يظهر البهجة والسرور للكفار النصارى أعداء الله والملة. ولذلك أيها المسلمون، يقولون: إن هذا البابا نويس يسكن في السماء ويأتي نائباً عن عيسى يزور محبيه في الأرض في ليلة السنة الجديدة، نعم، وأنه على اعتقادهم الشاذج الذي هو ملىء بالحمق والغباء يدخل هذا البابا من المنائر لطبخة بيوتهم القديمة فيدخل منها ويضع تلك الهدايا التي يضعها على كتفه وعلى ظهره يضعها للولدان تحت الشجرة المعروفة لديهم، يشترونها ومنهم من يستزرعها. منهم من يشتريها من البلاستيك ويضعها فرحا بعيد الكريسماس، فيعتقدون بل هذه صارت خطة مكشوفة وأضحوكة ظاهرة لكل ذي عينين أن هذا البابا يأتي بالألعاب وإنما اشتراها الوالد لأبنائه ويشتري ما يرى فيهم الرغبة إليه من تلك الألعاب ويضعها في كيس محكم تحت هذه الشجرة فإذا قام الولد من الغد يقول: أنى لي هذا؟ يقول: أعطاك بابا نويس.

نعم، فصارت هدايا البابا المزعوم خطة من تاجر ولعله يهودي، لأن اليهود لا يحتفلون لهذا العيد في أوروبا وأمريكا وغيرها من الدول الصليبية، لا يحتفلون بهذا العيد وإنما يتجرون وهو موسم كبير للتجارة والبيع والشراء، فهم أصحاب مصانع الألعاب للولدان، نعم فلذلك يغنمون أموالاً من الأغنياء المغفلين من النصارى وربما كان هذا أيضاً من المسلمين لأنهم يشاركون فرحة بعيد الكريسماس ويفعلون مع

ولدانهم وصبيانهم ما يفعلون النصرارى مع ولدانهم وصبيانهم من شراء الهدايا والتحف، وهم إنما أرادوا التنصير في أبنائهم وترسيخ عروق التنصير فيمن هو من سوى أنفسهم وذرايرهم.

فيا أيها المسلم: العيد مظهر من مظاهر الدين. ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾^(٨)، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾^(٩).

فإذًا، هذه الأعياد هي معلم ديني وهي شعيرة من شعائر الدين وقد كان لكل نبي ممن مضى عيد ومنسك فيجتمع فيه الصالحون من عباد الله فيذكرون أنعم الله وآلاه على عباده فيزدادوا إيمانهم ويثبت توحيدهم حتى كان آخر هذه الأعياد ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم. نعم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١٠).

أعيادنا سبعة: الفطر والأضحى ويوم عرفة ويوم الجمعة وأيام التشريق الثلاثة: الحادي عشر والثاني عشر والرابع عشر من شهر ذي الحجة. فكن أيها المسلم حريصا على معرفة المعتقد الصحيح حتى لا تتلبس بالغباء فيضحك عليك القوم. فهاهم النصرارى عند ما يحتفلون بعيد الكريسماس يأبى اليهود بل يقولون في عيسى قولا عظيما أنه ابن زنا وأنه ولد البغي ولا يؤمنون به ويقبحون، فلا يحتفلون بعد ذلك به وإنما يستغلون التجارة والبيع والشراء. والمسلمون ليسوا كذلك، يعرفون مقدار عيسى وشرف عيسى ووجهة عيسى عند الله وعند صالحى عباده. ولكنهم لا يحتفلون بهذه الأعياد التي ينفق النصرارى فيها

^(٨) سورة الحج: (٦٧).

^(٩) سورة الحج: (٣٤).

^(١٠) سورة المائدة: (٣).

أموالاً باهضة بقصد التنصير لعباد الله، فغياك أيها المسلم أن تكون مغفلاً في عقيدتك فإنها رأس مالك وسبب نجاتك وفلاحك، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١١).

أيها المسلمون لا شك ولا ربي أن مثل هذا الأمر يحوج الناصحون من الناس والواعظين والمذكرين أن ينبهوا من التشبه بالكفار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذر من هذا في سنته. والله عز وجل قد حذر من هذا في كتابه العزيز. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١٢).

فاحذر من هذا الوعيد الشديد وهذا التهديد من النبي عليه الصلاة والسلام. «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

^(١١) سورة الشعراء: (٨٨-٨٩).

^(١٢) أخرجه أبو داود (٤٠٢٦/٤) كما في العون/ دار الحديث).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهذا إسناد جيد، فإن ابن أبي شيبه وأبا النضر وحسان بن عطية ثقات مشاهير أجلاء من رجال الصحيحين وهم أجل من أن يحتاجوا إلى أن يقال: هم من رجال "الصحيحين". وأما عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان فقال يحيى بن معين، وأبو زرعة، وأحمد بن عبد الله: ليس به بأس. وقال عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم: هو ثقة وقال أبو حاتم: هو مستقيم الحديث. وأما أبو منيب الجرشي فقال فيه أحمد بن عبد الله العجلي: هو ثقة وما علمت أحدا ذكره بسوء وقد سمع منه حسان بن عطية وقد احتج الإمام أحمد، وغيره بهذا الحديث. اهـ ("اقتضاء الصراط المستقيم" / ١ / ص ٢٦٩-٢٧٠ / مكتبة الرشد).

ولا نحتاج إلى تطويل الكلام في سند هذا الحديث لأنه ثابت عند جلّ أهل السنة - إن لم يكن كلهم - راجع كلام الإمام الألباني

رحمه الله في "إرواء الغليل" (رقم ١٢٦٩ / ط. المكتب الإسلامي).

ويقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١٣). ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١٤).

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(١٥).

احذر فأنت مسلم، أكرمك الله بما يحسدونك من أجل. أكرمك الله بما يتمنون زوالك من الدنيا من أجله: الإسلام. يحسدونك أن الله أنزل النبوة في هذا النبي القرشي الخاتم. نعم. ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١٦).

فجاء الله بما يخرجنا من هذا الضلال المبين إلى نور السنة والقرآن، إلى نور الهدى والبيان إلى نور التوحيد والغسلام والإيمان. نعم، روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا شبرا وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»^(١٧).

والضب من الحيوانات التي تتخذ بيتها من التراب وتجعله على شكل عجيب من الدوران وكثرة الغرف والمنافذ.

^(١٣) سورة الجاثية: (١٨-١٩).

^(١٤) سورة المائدة: (٤٨).

^(١٥) سورة المائدة: (٤٩).

^(١٦) سورة الجمعة: (٢).

^(١٧) أخرجه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرا بشبر وذراعا بذراع»، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «ومن الناس إلا أولئك»^(١٨).

نعم أيها المسلمون. وفي العيد بخصوصه من النهي عن التشبه بالكافرين يقول الله عز وجل في وصفه عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١٩) - إلى قوله: - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٢٠).

قال أبو العالية^(٢٠) وطاوس ومحمد بن سيرين^(٢١) ومجاهد والضحاك^(٢٢): الزور: أعياد المشركين.

^(١٨) أخرجه البخاري (٧٣١٩).

^(١٩) سورة الفرقان: (٦٣-٧٢).

^(٢٠) قال الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره تحت رقم (١٥٤٥٤): روي عن أبي العالية وطاوس والربيع بن أنس والمثنى بن الصباح نحو ذلك.

^(٢١) السند الذي عثرت عليه ضعيف. أخرجه الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (١٥٤٥٥) فقال: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد حدثني أبو قتيبة البصري، قال: سمعت ابن سيرين يقول في قوله: والذين لا يشهدون الزور قال: هو: الشعانين.

محمد بن إسماعيل الأحمسي، هو محمد بن إسماعيل بن سمره الأحمسي أبو جعفر الكوفي، وهو ثقة. (راجع "تهذيب التهذيب" / ٩ / ص ٥٨).

عبد الرحمن بن أبي حماد هو عبد الرحمن بن شكيل المقرئ الكوفي، مجهول الحال. (راجع "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم / ٥ / ٢٤٤) وغيره.

أبو قتيبة البصري هو الكبير اسمه نعيم بن ثابت. مجهول الحال. (راجع "تهذيب التهذيب" / ١٢ / ص ٢٠٦).

^(٢٢) السند الذي عثرت عليه ضعيف. أخرجه الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (١٥٤٥٤) فقال: حدثنا الأشج أخبرنا عبد الرحمن بن سعيد الخراز، ثنا الحسين بن عقيل، عن الضحاك: والذين لا يشهدون الزور قال: عيد المشركين - وروى عن أبي العالية وطاوس والربيع بن أنس والمثنى بن الصباح نحو ذلك.

الأشج هو عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي أبو سعيد، ثقة. ("تهذيب التهذيب" / ٥ / ص ٢٣٦).

عبد الرحمن بن سعيد الخراز لم أجد من يوثقه. وهو من شيوخ الأشج.

وقولهم صحيح، لكنه يدخل في مفهوم الآية. فمفهوم الآية يشمل هذا وغيره^(٢٣). لكن قولهم في حد ذاته صحيح. ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

قال ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"^(٢٤): وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها، الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك، من العمل الذي هو عمل الزور، لا مجرد شهوده؟

إن الأمر حينئذ خطير.

عن عائشة رضي الله عنها: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»^(٢٥).

البعث: هي وقعة عظيمة في العرب بين الأوس والخزرج حصلت فيها مقتلة عظيمة.

وقد قال ابن معين في شأن الأشج: ليس به بأس، ولكنه يروي عن قوم ضعفاء. ("تهذيب التهذيب" / ٥ / ص ٢٣٦).

الحسين بن عقيل هو الحسين بن عقيل العقيلي، ثقة. ("الجرح والتعديل" / لابن أبي حاتم / ٣ / ص ٦١).

^(٢٣) قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: وأصل الزور تحسين الشيء، ووصفه بخلاف صفة، حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه، أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لأهله، حتى قد ظنوا أنه حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت، حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور. ("جامع البيان" / ١٩ / ص ٣١٤).

^(٢٤) (١ / ص ٤٨٣).

^(٢٥) أخرجه البخاري (٩٥٢) ومسلم (٨٩٢).

وليستا بمغنيتين، إنما جاءتا يوم عيد. وإنما هو ضرب دفّ ومعه كلام، وليس فيه وصف الحدود والقدود والدعوة إلى الفواحش. لا والله.

وغضب أبو بكر من هذا.

قال شيخ الإسلام في "اقتضاء الصراط المستقيم"^(٢٦): فالدلالة في هذا الحديث على النهي عن مشابهة الكفار في أعيادهم من جهتين، الدلالة الأولى: قوله: «إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا» واللام هنا لام الجرّ تفيد الاختصاص. إذاً هم يختصون بأعيادهم التي أحدثوها أو كانت موجودة ثم نسخت. فهذا لا يؤمن به، ولنا عيدنا. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينٌ﴾ هذا على سبيل البراءة، ليس على سبيل الحرية والديمقراطية. على سبيل البراءة من دين أهل الكفر والإلحاد والوثنية والإشراك.

نعم أيها المسلمون. قوله: «إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا» هذا على سبيل الاختصاص. كقول الله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا﴾^(٢٧) القلبية، هم يختصون بالقبلة التي يتوجهون إليها ونحن كذلك، كالمسلمين، نختصّ بقبلتنا ونعتزّ بها أننا نتوجه إلى بلد الله الحرام. ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٢٨). ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾^(٢٩).

^(٢٦) (١/ص ٥٠١).

^(٢٧) سورة البقرة: (١٤٨).

^(٢٨) سورة البقرة: (١٤٤).

^(٢٩) سورة المائدة: (٤٨).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: أوجب ذلك اختصاص كل قوم بوجهتهم وبشرعتهم، وذلك أن اللام تورث الاختصاص، فإذا كان لليهود عيد وللنصارى عيد؛ كانوا مختصين به فلا نشركهم فيه، كما لا نشركهم في قبلتهم وشرعتهم. وكذلك أيضاً، على هذا: لا ندعهم يشركوننا في عيدنا^(٣٠).
فلا نظهر الفرحة والسرور بهذه الأعياد، أيها المسلمون.

الدلالة الثانية مما ذكره ابن تيمية في النهي عن مشابهة المشركين في أعيادهم قال: قوله: «وهذا عيدنا»، فإنه يقتضي حصر عيدنا في هذا، فليس لنا عيد سواه، وكذلك قوله: «وإن عيدنا هذا اليوم» فإن التعريف باللام والإضافة يقتضي الاستغراق، فيقتضي أن يكون جنس عيدنا منحصراً في جنس ذلك اليوم^(٣١).

فلنا أعيادنا التي قد شرعها الله لنا، ليس لنا أن نتبع الكفار في أعيادهم ولا أن نخيط على منوال أعيادهم فإن الله أكرمنا بدينه وليس بعد هذا الدين دين وليس أكرم من هذا الدين دين. فعليك أن تعتزّ بدينك أيها المسلم.

نعم، روى أبو داود في سننه من حديث ثابت بن الضحاك أنه قال: نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ببوانة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا، قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟»، قالوا: لا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»^(٣٢).

(٣٠) "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ص ٥٠١).

(٣١) "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ص ٥٠٢).

(٣٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٣١٣) بسند صحيح.

والنبي صلى الله عليه وسلم متفطن لهذا الأمر فاستفسر واستفصل من السائل.

وروى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر»^(٣٣).

ولهم يومان يلعبون فيهما. قال العلماء: هما النيروز والمهرجان. وقد كان لهما ذكر في مقام سابق وشرح وبيان على أن هذا العيد عيد الكريسماس الذي يحتفل به النصارى في الواحد والثلاثين أعني على رأس وتاج الاحتفال في آخر أيامه يوافق عيداً لفارس، للمجوس الذي هو عيد النيروز في الربيع يحتفلون به فيتفق المشركون عباد النيران والنصارى عباد الصليبان.

في هذا العيد يجتمعون على الضلالة. هؤلاء يحتفلون بالنيروز وهؤلاء يحتفلون بالكريسماس.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر».

قال شيخ الإسلام أيضاً في "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم": فوجه الدلالة: أن العيدين الجاهليين لم يقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، بل قال: «إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين»، والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه؛ إذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه^(٣٤).

نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا.

^(٣٣) أخرجه أبو داود في سننه (١١٣٤) بسند صحيح.

^(٣٤) (١/ ص ٤٨٦).



الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيدا، أما بعد:

الحديث ذو سجون في هذا الموضوع ولكن هذه نبذة في النهي عن التشبه بالكافرين عموما وفي أعيادهم خصوصا لأن التشبه بالكافرين فيه سلوك غير سبيل المؤمنين. ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٣٥).

التشبه بالكافرين ومنه التشبه في أعيادهم يقود إلى محبتهم في الباطن، وإلى محبتهم في القلب وهذا باب هلكة ومزلة عظيمة. نعم

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٣٦).

فالقول الظاهر إذا تشابه والسيمة الظاهرة إذا تشابهت دل هذا أيضا إلى مشابهة القلوب والمودة بين القلوب. نعم، فإنما حاك إنسان في الظاهر وحاك أفعاله وأقواله وزيه ومظهره فإن هذا يقود إلى محبته ومودته، كما أن الحب في الباطن وفي القلب يقود إلى محاكاته في الظاهر. نعم أيها المسلمون.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»^(٣٧).

^(٣٥) سورة النساء: (١١٥).

^(٣٦) سورة البقرة: (١١٨).

^(٣٧) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة/ باب الأرواح جنود/ (٢٦٣٨)/ دار السلام)، والبخاري في "الأدب المفرد" رقم (٩٠١)). ورواه البخاري معلقاً في "الصحيح" عن عائشة رضي الله عنها، ووصله في "الأدب المفرد" رقم (٩٠٠).

ما تعارف منها، أي: في الصفات والتشاكل، ائتلف: يحصل فيه المودة والمحبة. وما تناكر منها، أي:

في الصفات، اختلف.

نحن مسلمون نعتزّ بديننا. ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣٨).

ما هي عقيدة النصارى في عيسى؟ وما هي عقيدة الإسلام في عيسى؟ أتظن أيها المسلم أنهم يفعلون

هذه الأعياد هكذا عفويًا بغير قصد ولا عمد ولا مغازي خطيرة على أهل الإسلام؟ نعم، إنهم يريدون

التنصير كما علمت آنفا. يعتقدون في عيسى أنه الله، وفي قولهم: إنه ابن الله، وفي قولهم: إنه ثالث ثلاثة.

لم يتفقوا في أصل عقيدتهم. ولا يعرف واحد منهم ماذا يعبد؟ يعتقدون أن عيسى مكوّن من شيئين:

اللاهوت والانسوت. واللاهوت روح الإله دخل في هذه الجثة التي هي الناسوت. هذا قول باطل،

يقولون في عيسى قولاً عظيماً. يعتقدون في عيسى أنه قُتل وصُلب. وهذه العقيدة عقيدة ضالة بين الإسلام

زيها: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(٣٩). قال الله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(٤٠). نعم، هذه عقيدة

النصارى في عيسى يعني: أنه مصلوب، يعتقدون في عيسى أنه أحلّ لهم الخمس الخبيثة وأحلّ لهم الخنزير

وأحلّ لهم الفواحش بقيد الاستغفار من بعد هذا كله. نعم، ولذلك يصرفون سقوطاً أخرى للناس

ويزعمون في يوم الفسخ في يوم عندهم يسمى يوم الفسخ أنهم إن أكلوا الخبز والخمس عاد اللحم فيه بأكل

الخبز لحماً آخر وعاد الدم فيه بشرب الخمر وما آخر فحيثئذ طهر مما مضى. وهذا يسمونه بيوم الفسخ.

عقيدة ضالة. والله، ما أحلّ عيسى خمراً ولا خنزيراً بل هو الذي ينزل في آخر الزمان يحكم بشريعة النبي

^(٣٨) سورة المائدة: (٣).

^(٣٩) سورة النساء: (١٥٧).

^(٤٠) سورة النساء: (١٥٨).

عليه الصلاة والسلام فيكسر الصليب الذي هو معتقد باطل، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال بين يديه حتى لا يقبله أحد. هذا عيسى صلى الله عليه وسلم. نعم، يعتقدون فيه هذه البواطيل العظام.

وأما عقيدة أهل الإسلام فمعلومة في عيسى صلى الله عليه وسلم. ولذلك من لقي الله بهذه العقيدة أدخله الله الجنة على ما كان من العمل. ففي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثانية شاء»^(٤١).

أتعلم عقيدتك في عيسى حتى تعلم ضلالة هؤلاء القوم الذين يعبدون إلهاً أنه ولد في هذه الأيام. وقبل الولادة أين كان إلههم؟ يعتقدون عبادة مخلوق كان في جوف امرأة، في رحم امرأة، عاش تسعاً من شهور. ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(٤٢). يعبدون إلهاً يزعمون أن الخلق قتلوه وسفكوا دمه وصلبوه. ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.

أعباد المسيح لنا سؤال نريد جوابه ممن وعاه:

إذا مات الإله بصنع قوم أماتوه، فهل هذا إله؟

ويا عجباً لقبر ظل ربا وأعجب منه بطن قد حواه،

أقام هناك تسعا من شهور لقد ظلمات حيث غزاه

وشق الفرج مولوداً صغيراً ضعيفاً فاتحاً للثدي فاه

^(٤١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨).

^(٤٢) سورة النساء: (٧٨).

ويأكل ثم يشرب ثم يأتي بلازم ذلك هل هذا إله؟

تعالى الله عن إفك النصارى سيأل كلهم عما افتراه

وقال عمر رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تطروني، كما أطرت

النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله».^(٤٣)

ولما أراد عمرو بن العاص إذ كان مشركاً وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي أن يأتي بتهمة

على المسلمين في أرض الحبشة عند النجاشي بتهمة تستحصد وتستأصل خضراءهم.

فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فأسألهم عما يقولون

فيه. قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثله فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض ماذا

تقولون في عيسى إذا سألكم عنه قالوا نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به

نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي يده إلى

الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود. فتناخرت بطارقه حوله حين

قال ما قال فقال: وإن نخرتم والله. اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم الآمنون-،^(٤٤).

وقال النجاشي: واختاروني على من سواي.

^(٤٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

^(٤٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧٦٦/صحيح).

كان النجاشي ملك عدل. ولذلك خصّه النبي عليه الصلاة والسلام بصلاة لما مات ، وخرج بأصحابه إلى المصلى وصلى عليه صلاة الغائب إكراماً لهذا الرجل الكريم ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٤٥).

وانظر ماذا ينطوي عليه عقلاء النصارى من المعتقد الصحيح في عيسى، أعني: قبل البعثة يعتقدون أنه عبد الله ورسوله. فلذلك قال النجاشي: والله، ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود.

فعيسى عبد الله وروسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وهو وجيه في الدنيا والآخرة، وجاهد في الدنيا بالنبوة والرسالة، وكونه من أولي العزم من الرسل. وكذلك في آخر الزمن ينزل من السماء بإذن الله فيحكم بشريعة النبي عليه الصلاة والسلام، ويقاوم الكفار قاطبة ولا يقبل من الناس جزية ولا يقبل إلا الإسلام، والدين بدين محمد صلى الله عليه وسلم أو السيف على أعناقهم. نعم.

وجيه في الدنيا والآخرة، وهو يشفع مع سائر الأنبياء والمؤمنين في غير الشفاعة العظمى. الشفاعة العظمى في الموقف وفي استفتاح الجنة هذه خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام لكنه يشفع مع سائر الأنبياء والمؤمنين.

نعم أيها المؤمنون. ونعتقد أنه كلم الناس في المهد وكهلاً، كلمهم بما في صلاحهم ونفعهم. ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤٦).

^(٤٥) سورة الرحمن: (٦٠).

^(٤٦) سورة مريم: (٣٠-٣٥).

هذا معتقدك أيها المسلم في عيسى بن مريم، وذلك معتقد النصارى، فأى العقيدتين هي الحق؟
عقيدة أهل الإسلام. فليهنأ أهل الإسلام بعقيدتهم وبأعيادهم وبكتاب ربهم وبسنة نبيهم صلى الله عليه
وسلم.

نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا وأن يرزقنا علماً ينفعنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.